سلسلة آداب السلوك

آداب السلوك في الاسلام

آداب الجهاد

السيد سامي خضرا

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

آداب
الجهـــــاد

بسم الله الرحمن الرحيم

آداب الجهـــاد

السيد سامي خضرا

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

سلسلة آداب السلوك في الاسلام

آداب الجهاد، وفيه:

فضل الجهاد، والمرابطة، والإرصاد، وجهاد أهل البغي والأعداء، وصفات أمراء السرايا، والشجاعة، والرايات، والمخادعة، وأحكام الأسير... ومواضيع أخرى

فصل: في الجهاد في سبيل الله

بـــاب
وجوب الجهاد في سبيل الله واستحبابه

﴿إنَّ الله يُحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنَّهم بنيانٌ مرصوص﴾[1].

لا شكَّ أنَّ الجهاد في سبيل الله تعالى، بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، كما يقول الأمير عليه السلام.

وللجهاد في الإسلام أهميةٌ استثنائية، حيث اعتبر من الأركان الأساسية، التي قام عليها الدين، ولولاه ما قام للدين عمود، وما إخضرَّ للإسلام عود. وهو يُمثّل قمة العطاء ومنتهى التضحية، حيث يُعرِّضُ المرءُ حياتَه للخطر، واحتمالِ الموت، أو الخسارةِ التي لا تُعوَّض، كل ذلك في سبيل الله تعالى، ولإعلاء كلمة الإسلام، ونشرِ دين الحق في الأرض.

---

(١) سورة الصف: الآية ٤.

وإذا كان القتال العسكري بين الدول والشعوب يُعتبر في كثير من الأحيان اعتداءً أو جريمةً أو مظهراً من مظاهر السيطرة والهيمنة... إلا أنه في الإسلام، مظهر من مظاهر السلام والمحبة، وسيادة الحق والأمن والاستقرار. كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**الذين إن مكنَّاهم في الأرض، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهَوا عن المنكر، ولله عاقبةُ الأمور**﴾[1].

وفي كثير من الحالات يكون الجهاد في سبيل الله للدفاع عن المستضعفين والمظلومين الذين لا حول لهم ولا قوة، أمام سلطةِ الطاغوت والطمع، التي تريد أن تستغلَّهم وتستغلَّ خيراتِهم، ولولا الجهاد والقوة الرادعة، لَفَسَدتِ الأرض، وأهلك القوي الضعيف. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿**أُذن للذين يُقاتَلون بأنَّهم ظلموا، وإنَّ الله على نصرهم لقدير، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا ربُّنا الله، ولولا دفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض، لهدِّمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً، وليَنْصُرنَّ الله مَنْ ينصُرُه، إنَّ الله لقويٌ عزيز**﴾[2].

---

(١) سورة الحج: الآية ٤١.

(٢) سورة الحج: الآيتان ٣٩ و٤٠.

من هنا نرى، أنَّ الجهاد في الإسلام نعمةٌ عظيمة، وإن كان القتالُ عند الآخرين، شؤماً ونقمةً على البشرية وبني الإنسان.

وانطلاقاً من هنا، كان للإسلام أحكام عديدةٌ تتعلق بالجهاد وجوباً أو استحباباً، فرضاً أو نفلاً، أدباً أو سنةً. فقد أشار قدوةُ المجاهدين، الرسولُ المصطفى ﷺ إلى أهمية الجهاد العسكري وضرورته، حتى أنَّه ﷺ اعتبر أنَّ العالم ونظامَ البشر، والراحة والأمن والخير، لا تكون إلا بواسطة السيف وبركته، فقال ﷺ: «الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يُقيمُ الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنةِ والنارِ»[1].

وعن الباقر عليه السلام قال: «إنَّ الخيرَ معقودٌ في نواصي الخيل إلى يوم القيامة»[2].

وهذا يُشير إلى وجوب اللجوءِ إلى السيف في بعض الأحيان، وإلى استحبابه في أحيانٍ أخرى. كما ويُفهم أيضاً من النص المبارك، أن تحصيلَ الخير في بعض الظروف لا

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٥ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٩ ح ١٨.

يُمكن أن يكون إلا بالسيف، وأنَّ تركَ ذلك يؤدي إلى ضياعِ الحقوق والأوطان والسلام. فلا بدَّ من قوةٍ رادعةٍ لتحصيلَ الحق لأهله، وقمع المجرمين والمفسدين.

ففي نصٍ عنه ﷺ: «فمن ترك الجهادَ، ألبسه الله ذُلاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إن الله أعزَّ أمتي بسنابك خيلها، ومراكز رماحها»(١).

وعلى كل حال، فإنَّ الجهاد أمرٌ، جعله الشرعُ المقدسُ علينا واجباً أو مستحباً... بحسب الظروف والأوضاع... ومن آداب السلوك في الإسلام، أن يبقى المسلم متهيئاً، ومستعداً دائماً للجهاد في سبيل الله، ولردِّ العدوان ودفعِ المخاطر... وأن يكون جنديَّ احتياطٍ في جيش الإسلام... وهذا ما تُقِرُّه وتمارِسه أكثرُ الأنظمة في العالم للمحافظة على كِيانها ومكاسبها.

وفي هذا المعنى، رُوي عن النبي ﷺ قولُه: «أخبرني جبرائيلُ بأمر قرَّت به عيني، وفرح به قلبي، قال: يا محمد من غزا من أمتك في سبيل الله فأصابه قطرةٌ من السماء أو صداعٌ، كتب الله له شهادةً يوم القيامة»(٢).

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٩. ح ٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦ ح ٤.

وعنه ﷺ : «خيول الغزاةِ في الدنيا، خيولهم في الجنة، وإنَّ أردية الغزاةِ لسيوفهم»[١]. وبهذا يتبين لنا وجوبُ الجهاد مع القدرة على ذلك، للدفاع عن الأرض والعرض، واستحبابُه في حالات أخرى.

باب
الدعوة إلى الجهاد والترغيبُ به

الحمد لله الذي جعل صلاحَ الدنيا والدين، وخيرَهما بالجهاد في سبيله، إذ الدعوةُ إلى دينِ الله تعالى، وتطبيقِ أحكامه، وحفظ حدوده من الواجبات الشرعية، التي وإن تقاعس عنها أكثرُ الناس، فلا يسقط الواجبُ والجهاد لإقامتها.

وقد عملت الحكوماتُ القائمة اليوم، في بلاد المسلمين، جاهدةً لإبعاد أحكام الله وشريعته، وإقصائها عن الحياة اليومية والاجتماعية والسياسية للشعوب، تماماً كما فعل من قبل بنو أمية، وبنو العباس، الذين لم يختلفوا سلوكاً، وفي هذه النقطة بالذات من تعطيل حدودِ الله،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٥.ح ٣.

وتحريفها بما يتناسب مع مصالحهم وأهوائهم.

فقد أرسل الإمام الباقر عليه السلام إلى بعض خلفاء بني أمية رسالةً، ومما قال فيها مؤنباً لهم على تضييع الجهاد: «ومن ذلك ما ضُيِّع الجهاد، الذي فضّله الله عز وجل على الأعمال، وفُضِّل عامِلُه على العمال تفضيلاً في الدرجات والمغفرة والرحمة، لأنه ظهر به الدين، وبه يُدفع عن الدين، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بالجنة بيعاً مفلحاً منجحاً، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود، وأول ذلك، الدعاءُ إلى طاعة الله من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادةِ العباد، وإلى ولاية الله من ولاية العباد، . . .»[1].

ومن الأدب في الإسلام، أن لا يتخلف المسلم عن الجهاد خوفاً من الموت والقتل، وأن يكون عنده يقين، بأنَّ أجله المكتوبَ عليه واقعٌ به لا محالة، إن كان في ساح الجهاد، أو في زوايا المنزل. فعن مولانا قدوةِ المجاهدين، علي أمير المؤمنين عليه السلام في خُطبةٍ له يوم الجمل، قال: «أيها الناس إنَّ الموتَ لا يفوته المقيم، ولا يُعجزه الهارب، ليسَ عن الموت محيصٌ، وَمَنْ لم يمت يُقتلْ، وإنَّ أفضل الموتِ القتل، والذي نفسي بيده لألف ضربةٍ بالسيف أهون

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٦. ح ٨.

علي من ميتة على فراش»[1].

وفي سياقِ الحثِّ على الجهاد، ودعوةِ الناس إليه، نذكر قولَ الله تعالى، في أمره للنبي ﷺ بضرورة التحريض على الجهاد، لتثبيت قلوب المؤمنين، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها النبي حرِّضِ المؤمنين على القتال**...﴾[2].

والرسول ﷺ بدوره، وفي معرض تحريضه على الجهاد، وترغيباً للمؤمنين ولمستقبلهم ومستقبلِ أولادهم في ذلك، يقول: «اغزوا، تورثوا أبناءَكم مجداً»[3].

وهذا أميرُ المؤمنين عليه السلام في حديث جامع له، يُحرِّضُ على الجهاد، فيقول: «إنَّ الله فرض الجهادَ، وعظَّمه وجعله نَصْرَه وناصرَه، والله ما صلحتْ دنيا ولا دين إلا به»[4].

ويُستحب الترغيبُ بالجهاد، وإظهارُ ثوابه، وثوابِ الشهادةِ في سبيل الله، وأجرها، وما أعدَّ الله للشهيد أو المجاهد، وما يترتب على الجهاد من فوائد ومنافع، حتى يتحمسَ لذلك أهلُ الهدايةِ والتوفيقِ، ومَنْ أراد الله سبحانه

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٨. ح ١٢.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٥.
(٣) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٩. ح ١٦.
(٤) المصدر نفسه: ح ١٥.

فيهم خيراً.

وفي روايةٍ عن الرسول المصطفى ﷺ، قال: «للشهيد سبعُ خصالٍ من الله: أولُ قطرةٍ من دمه مغفورٌ له كلُّ ذنب، والثانية، يقع رأسُه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبارَ عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثلَ ذلك لهما، والثالثة يُكسى من كِسْوة الجنة، والرابعة، يبتدره خزنةُ الجنة بكل ريح طيبة، أيُّهم يأخذه معه، والخامسة، أن يرى منزله، والسادسة، يُقال لروحه: اسرَحي في الجنة حيث شئتِ، والسابعة، أن ينظر في وجه الله، وإنها لراحة لكل نبي وشهيد»[1].

وعن مولانا الصادق عليه السلام قال: «مَنْ قُتِل في سبيل الله، لم يُعَرِّفْه الله شيئاً من سيئاته»[2]. ومن الأمور المرغِّبة في الجهاد والشهادة، أنه ليس وراءَ ذلك مرتبةٌ ولا فضلٌ. حيث رُوي عن الرسول ﷺ قوله: «فوقَ كلِّ ذي بر بر، حتى يُقتلَ في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله، فليس فوقه بر...»[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٩. ح ٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ح ١٩.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٠. ح ٢١.

وخلاصةُ الكلامِ المتقدم تكون باستحباب الحثِّ على الجهاد والترغيب فيه والإشارة إلى أجره وثوابه، ووجوبِ العمل لإقامة حكم الله في الأرض وإقامة الحدود والفرائض.

بـــاب
فضل الجهاد على العبادة، وإذنُ الوالدَيْن فيه

يُفهمُ من النصوص المباركة، أن الجهاد من الفرائض والعبادات، وأنه من الأمور المحببة إلى الله، وهو من أفضل الأعمال. ويكفي لمعرفةِ فضله أنْ نعرف أنَّ أوّل مقاتلٍ في سبيل الله كان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كما جاء في النصوص الشريفة.

وآثار الجهاد على النفس، كثيرةٌ، لأنه نوعُ بلاءٍ وامتحان للإنسان المسلم، ويُحددُ مقدارَ صدقهِ ووفائِهِ للمبادىء التي يحمل، أو يدعو إليها. فهو يتطلب جَهداً وتعباً ومشقةً وعرقاً وسهراً ومشياً وتحملاً وجوعاً وألماً وغربةً...

هذا في الأحوال العادية، وفي حالات أخرى يتطلب دماً وأعضاءً ونفساً وحياةً، حيث يبيع المجاهدُ في سبيل الله رأسَه وجمجمته، لإحقاق الحق وإظهاره.

وبحسب هذا الاعتبار والتفصيل، فإنَّ العبادات الأخرى لا تحتاج إلى ذلك، كما في الصلاة والصيام مثلاً.

ومن هنا نستطيع أن نفهم: لماذا جعل الرسولُ ﷺ الجهادَ أفضلَ من السياحة، إذ المقصود بالسياحة هنا، التفرغُ في الجبال والبراري، بعيداً عن الناس وضجةِ الحياة، للصلاة والصيام والتعبد والتفكر.

ومع أنَّ هذا مفيدٌ أيضاً، ويحتاج إلى مشقة وفيه أجرٌ، إلا أنه في أحسن حالاته، لا يُجاري الجهادَ في سبيل الله.

فقد جاء عثمان بن مظعون رضوان الله عليه، إلى رسول الله ﷺ وقال له: إنَّ نفسي تُحدثني بالسياحة، وأن ألحق بالجبال، فقال ﷺ: «يا عثمان لا تفعل، فإنَّ سياحة أمتي الغزوُ والجهاد»[١].

ويشترط الفقهاءُ كما هو معروف، إذْنَ الوالِدَيْنِ في الجهاد... هذا في الأحوال العادية الراتبة، حيث لا خطر على الإسلام، ولا ظروفَ استثنائية.

أما إذا كان الخطر كبيراً، ويُخشى منه على الإسلام أو المسلمين، فيسقط هذا الشرط عندئذٍ، وكذلك إذا وجب على

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٠ ح ٢٢.

الوالد عيناً، كما في زماننا هذا لو احتاج المجاهدون إلى اختصاصٍ معين أو أمرٍ ما، لا يتوافر إلا في هذا الشخص، كأن يكون رامياً للمدفعية، أو مُذخّراً للراجمة أو مختصاً بأمور الألغام والمتفجرات، أو خبيراً عالماً بالطرق المؤدية إلى الأهداف المطلوبة في الوعر أو الجبل... عندها يجب عليه الالتحاقُ بصفوف المجاهدين، للقيام بواجبه، مع عدم إجازة الوالدين، لأنَّ مصلحةَ الإسلام والدين، فوقَ كلِّ مصلحةٍ شخصية أو اعتبارية.

وذكر بعض الفقهاء، رضوان الله عليهم، جوازَ الخروجِ للجهاد حتى في غير الحالات الاضطرارية، وحتى من دونَ إذن الوالدين، إن لم يكن ذلك موجباً لإيذائهما. وفي ذلك يقول السيد الخوئي رضوان الله عليه موضحاً، ومفصلاً:

«إذا منع الأبوان ولدَهما عن الخروج إلى الجهاد، فإن كان عينياً، وجب عليه الخروجُ، ولا أثر لمنعهما، وإن لم يكن عينياً، لوجود من به الكفاية، لم يجز له الخروجُ إليه، إذا كان موجباً لإيذائهما لا مطلقاً»[1].

ولأهمية هذا الموضوع وخطورتِهِ خاصة علينا نحن في

---

(١) منهاج الصالحين، كتاب الجهاد: ص ٣٦٧ م/ ٤.

لبنان، وفي هذا الزمن، نضيفُ قولَ الإمام الخميني، قدس الله نفسه الزكية، إلى قول السيد الخوئي، قدس سره، حيث يقول:

«لو غشيَ بلادَ المسلمين أو ثغورَها عدوٌّ، يُخشى منه على بيضة الإسلام، ومجتمعهم، يجب عليهم الدفاعُ عنها، بأية وسيلةٍ ممكنةٍ، من بذل الأموال والنفوس» «... فيجب الدفاع على كل مكلف بأية وسيلةٍ بلا قيد وشرط» «ولو خِيْفَ على زيادة الاستيلاء على بلاد المسلمين، وتوسعةِ ذلك، وأخذِ بلادهم أو أسرهم، وجب الدفاع بأية وسيلة ممكنة»[1].

وبذلك يتضح التكليفُ الشرعي للمسلمين في لبنان، في ظل السيطرة اليهودية على بلادهم وممتلكاتهم وخيراتهم.

وخلاصة ما تقدم: إنَّ الجهاد في سبيل الله أفضلُ من التفرغ للعبادة في الجبال، ولا يجب إذْنُ الوالدين في حالات الضرورة إجماعاً. وأما في الحالات العادية، فقد ذكر بعضُ الفقهاء عدمَ وجوبِ الإذن إن لم يكن في ذلك أذيةٌ لهما، كما ذكر صريحاً السيد الخوئي، الذي قال أيضاً: إن الجهاد مما بُني عليه الإسلام، وإنَّهُ من أهم الواجبات الإلٰهية.

---

(١) تحرير الوسيلة، بتصرف.

بـــاب

المرابطة والإرصاد في سبيل الله تعالى

يُمثِّلُ المجاهدُ في سبيل الله، رمزَ التضحيةِ والفداءِ والوفاء، فهو الذي يُقدِّمُ راحةَ الأمة وسلامَتها، على راحته وسلامته. وأقل ما يجب على الأمة أن تبادله إخلاصَه وفداءه هذا، بأن تحفَظه في غيبته، فلا يُذكرُ بسوء، وأن تحفظه في أبيه وأمه وزوجته وأولاده، فلا يبقى مشغولَ البالِ عليهم، من مرض طارىء، أو عسرٍ معيشيٍ يُصيبُهم.

فكم هو جميلٌ من المجتمع الإسلامي المقاوم، أن يتكفل كلَّ عوائل المجاهدين فيما يحتاجونه في أمر معاشهم، وعندها يطمئن المجاهد إلى مصير واستقرار عائلته، فينصرفُ إلى ساحة الجهاد والإباء، وهو مطمئن البال، مرتاحُ السريرة.

وقد ذكر الرواة والفقهاء استحبابَ أن يُخلَفَ الغازي بخير، وأن تُبلَّغَ رسالتُه، وذكروا أيضاً حرمةَ أذاه وغيبتِه، وأن يُخلفَ بسوء[1]. فعن الصادق عليه السلام قال: «ثلاثة دعوتُهم

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٣.

مستجابة: أحدهم الغازي في سبيل الله، فانظروا كيف تخلِفُونَه»[1].

وفي نص عن رسول الله، أن من اغتاب مؤمناً غازياً، وآذاه، وخلفه في أهله بسوء، وكان الغازي في طاعة الله عز وجل، نصب الله له يومَ القيامةِ ميزاناً ويُحاسبُه، فيستغرقُ حسناتِه، ثم يُوكَسُ في النار[2].

وتُستحب المرابطة في سبيل الله تعالى، بمعنى الحراسةِ والمراقبةِ لحدود المسلمين وثغورهم، خوفاً من تسلل الأعداء ونفوذهم إلينا.

ويجب على المرابطِ في سبيل الله أن يُدافعَ عن نفسه، أو عن بيضة الإسلام إذا تعرضت للخطر، حتى ولو كانت المرابطة في ظل الحكم الجائر، لأن العدو إذا كان يهدِف من هجومه القضاءَ على الإسلام، فهذا يعني ذهابَ ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد عن الإمام علي عليه السلام[3]

وقد ورد عن الصادقين من أهل البيت عليهم السلام قولُهُما:

---

(١) وسائل الشيعة: ح ١.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٤ ح ٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٩ ح ٢.

«الرباط ثلاثة أيام، وأكثره أربعون يوماً، فإذا كان ذلك فهو جهاد»[1].

وذكر المحقق الحلي في شرائع الإسلام، استحبابَ المرابطةِ ولو كان الإمام المعصوم غائباً، لأن المرابطة لا تتضمن قتالاً، بل حفظاً وإعلاماً[2].

ومن لم يستطع أن يُرابط بنفسه يُستحب له تقديمُ سلاحٍ أو عتادٍ ليُستعملَ في المرابطة والإرصاد، . . . وهذا ما يجبُ أن يقوم به مَنْ كان من أهل اليُسر تجاهَ المقاومةِ الإسلامية . . . فمن لم يُشرَّفْ بالمرابطة فَلْيُقَدِّم ما تيسَّر من السلاح والأعتدة.

وهنا لا بد من إعلام الإخوة المؤمنين بجواز النذر للمرابطة، وعندئذٍ تُصبحُ واجبةً لا بد من الالتزام بها، وكذلك لو نذر مالاً ليُدفعَ في شؤون المرابطين[3].

فيا أيها المسلمون، أحيوا هذه السنة، واجعلوا نَذْرَكم المرابطة في سبيل الله، أو بذلَ المال في ذلك.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ١٩. ح ١.
(٢) شرائع الإسلام: ج ١ ص ٢٣٤.
(٣) المصدر نفسه: بتصرف.

علماً أنَّ الشهيد الثاني نوَّر الله ضريحه المقدس ذكر أن المرابطةَ والإرصادَ في أطراف بلاد الإسلام، للإعلام بأحوال المشركين، مستحبٌ استحباباً مؤكداً مع حضور الإمام المعصوم وغيبتِه[1]. حتى أنَّ الساكن على ثغور (*) المسلمين، إذا وطَّن نفسه على المراقبة والمحافظة، فله أجرُ المرابط أيضاً، كما ذكر ذلك الشهيد الثاني في اللمعة. قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتَّقوا الله لعلَّكم تفلحون**﴾[2].

وسئل الرضا عليه السلام عن الرجل المرابط في ظل النظام الجائر، إذا جاءه العدو؟! كيف يصنع؟ فقال عليه السلام: «يُقاتلْ عن بيضة الإسلام، لا عن هؤلاء، أي لا عن الحاكم الجائر»[3].

وذكر أكثر الفقهاء، أحكاماً خاصةً وفتاوى تتعلق بالمرابطة، ومنها: أن أقلَّها ثلاثةُ أيام، وبذلك ينعقد النذر

---

(١) اللمعة الدمشقية: ج ٢ ص ٣٨٥.

* مفردها ثغر وهو مركز الدفاع عن الحدود، والمكان الذي ينتظر الخطر منه.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

(٣) فقه الصادق: ج ٢ ص ٢٦٥.

على المرابطة، والوقفُ والوصية، أي يجوز للمرء أن يوقف عقاراً مثلاً، لمصلحة المرابطين في سبيل الله، أو يوصيَ لهم بجزء من ماله بعد موته، أو ينذرَ نذراً لهم.

وأفتى الفقهاء أيضاً أن المرابطة إذا زادت عن الأربعين، أُلحقت بالجهاد في الثواب[1].

والنذر والوصية والوقف للمرابطة، يُمكن أن تتعلق بالمال أو السلاح أو العتاد، أو وسائل النقل،... يقول السيد الخوئي، قدس الله تعالى نفسه الزكية: «إذا نذر شخص الخروجَ للمرابطة، فإن كانت لحفظ بيضة الإسلام وحدودِ بلادِهِ، وجب عليه الوفاءُ به... وكذا الحال فيما إذا نذر أن يصرف مالاً للمرابطين»[2].

وقد ذكر السيد أبو القاسم الخوئي أيضاً في صدر هذا الباب ما نصُّه: «تجب المرابطة لدى وقوع البلاد الإسلامية، في معرِضِ الخطر، من قبَلِ الكفار، وأمَا إذا لم تكن في معرضِ ذلك، فلا تجب، وإن كانت في نفسها أمراً مرغوباً فيه، في الشريعة الإسلامية»[3].

(١) اللمعة: ج ٢ ص ٣٨٥.
(٢) منهاج الصالحين، كتاب الجهاد.
(٣) منهاج الصالحين، كتاب الجهاد.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أمر بالمرابطة، حتى في ظل الحاكم الجائر، وذلك على ثغور قزوين وعسقلان والديلم، عندما كانت تلك المناطق ثغوراً. وعندما سئل عليه السلام عن العدو إذا جاء، قال: يُقاتِلْ عن بيضة الإسلام، ويُجاهد إذا كان يخاف على دار المسلمين، . . . لأن في دروس الإسلام (أي فنائِه) دروسُ ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1]

وخلاصة ما مرَّ معنا في هذا الباب: استحبابُ حفظِ الغازي والمجاهد في غَيبته، في أهله وماله، ووجوبُ ذلك في بعض الأحيان. وحرمةُ أذيَّتِه وغيبته. ثم الاستحباب المؤكد للمرابطة في سبيل الله، بالنفس، أو بالبذل أو بالوقف أو النذر أو الوصية. وقد تُصبحُ المرابطةُ واجبةً في بعض الأحيان، كما أفتى بذلك السيد أبو القاسم الخوئي رضوان الله تعالى عليه.

بــــاب
صفات أمراء السرايا

كلما عظمت مسؤوليةُ الإنسان، كلما ازداد خطرُه إذا

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٩ ح ٢.

أخطأ أو ضلَّ عن جادة السبيل. ولا ريب أن المسؤولية العسكرية أشدُّ خطراً من غيرها في حال عدم استعمالها في مجالاتها الصحيحة والقويمة، لأنَّها تؤدي إلى قتل الناس وتلفِ الأرزاق وضياع الخيرات.

فينبغي العملُ لكي يكون صاحبُ المسؤولية العسكرية أفضلَ وأحسنَ من غيره في التقوى والسلوكِ والاتزانِ والحكمة... ولذا اهتم الإسلامُ اهتماماً خاصاً بأمراء السرايا العسكرية ومعاونيهم، فجعل صفاتٍ خاصةً لاختيارهم والتعامُلِ معهم.

فمن السنة أن يأمر وليُّ الأمرِ أمير السرية العسكرية بتقوى الله، وأن يُذكِّره بأهداف الجهاد، وبعدم أذية الناس والمستضعفين وبعدم القيام بالتصرفات الطائشة... لأنَّ المقاتل عادةً يكون في حالٍ من التوتر والانفعال النفسي، الذي قد يُخْرِجُهُ عن الحدود الشرعية، فيُهينُ الناسَ، ويعتدي على ممتلكاتهم وحرماتهم... وهذا ما يُشاهد كثيراً في الحروب عند غير المسلمين.. وكان النبي ﷺ إذا بعث أميراً له على سرية، أمره بتقوى الله عز وجل، في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: «أغزُ بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله،... لا تحرقوا النخلَ، ولا

تُغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرةً مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرون، لعلكم تحتاجون إليه»[1]. هذا، إضافةً لأمور أخرى، والوصية مفصَّلة.

ومن الآداب الدعاءُ للمجاهدين بالتوفيق والنصر والتسديد، وهذا إذا حصل من ولي الأمر والقائد العام، ترك أثراً روحياً ومعنوياً عالياً بين المسلمين عموماً. فعن الصادق عليه السلام قال: «إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا بعث سرية، دعا لها»[2].

ومن الآداب أيضاً، تذكير المجاهدين بالآخرة، وأن جهادهم لا يُقدِّم أجلاً ولا يؤخِّره... حتى لا يفروا من ساحة المعركة ولا يجبنوا.. فهذا أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له يحضُّ أصحابه على القتال فيقول: «... وأيم الله، لو فررتم من سيف العاجلة، لا تسلمون من سيف الآخرة، أنتم لهاميم(*) العرب، والسنامُ (*) الأعظم، إنَّ في الفرار مَوْجِدَةَ (*) الله،

---

(1) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٣ ح ٣.
(2) المصدر نفسه: ح ١.

* لهاميم: مفردها لهميم، وهو السابق من الخيل والناس.
* السنام: الشرف.
* الموجدة: الغضب.

والذلَّ اللازم، والعارَ الباقي، وإنَّ الفارَّ غيرُ مزيدٍ في عمره، ولا محجوب بينه وبين يومه، من رايح إلى الله، كالظمآن يرد الماء، الجنة تحت أطراف العوالي، . . . »[1].

وينبغي عند اختيار القادة والمسؤولين العسكريين، أن تُلحظَ فيهم بعضُ الصفات الخاصة، كالإخلاص، والطاعة، والتدين وأن يكون من أهل الأخلاق العالية، الذين لا يغضبون لأنفسهم أو بسرعة، وأن يكونوا مرهفي الحس تجاه الفقراء والمستضعفين وأن لا يتكبروا أو يستغلوا مواقعهم العسكرية لمآرب شخصية.

قال علي عليه السلام في كتابه لمالك الأشتر: «فولِّ من جنودك، أنصحَهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلَهم حلماً ممن يُبطىءُ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يُثيره العنفُ، ولا يقعُدُ به الضَّعف»[2].

ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية، لمّا

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٥ ح ٥، و(في النهج باختلاف يسير خطبة ١٢٤) والعوالي: الرماح.

(٢) نهج البلاغة.

أعطاه الراية يوم الجمل: «تزول الجبالُ ولا تَزُلْ، عُضَّ على ناجِذِك، أعِرِ الله جمجُمَتَكَ، تِدْ في الأرض قَدَمَك، ارمِ ببصرك أقصى القوم، وغُضَّ بصَرَك، واعلم أنَّ النصر من عند الله سبحانه»[1].

وبهذا يكون قد مرَّ معنا فيما تقدم: استحبابُ جمعِ المجاهدين والدعاءِ لهم من قِبَلِ ولي أمر المسلمين، واختيارَ أمراءِ السرايا من أهل التقوى والورع والشجاعة والحلم والإخلاص، ممن لا يتجرأ على الضعفاء، ولا ينفعل لأدنى سبب، ولا يطمعُ في جاه أو سلطان.

بـــاب
قتال أهل البغي

في بعض الحالات، يضطر المسلم إلى ردع بعض المنحرفين في المجتمع عن غيِّهم وبغيهم وعدوانهم. . . وإن كانوا في الظاهر يدَّعون الإسلام. والتاريخ يشهد، منذ ما بعد وفاة رسول الله ﷺ وإلى يومنا هذا، على وجود فئة من أفراد المجتمع، لها وجودُها ووجوهُها، تُقيم على الانحراف،

(١) نهج البلاغة.

أو تدعو إليه، أو تُضلُّ الناسَ عن الهدى، أن تُحْدثَ الشرخَ والفتنة في مجتمع المسلمين. وهذه الفئة، قد لا تنفع معها أساليبُ الوعظِ والنصيحة، وكلامُ أهلِ الخيرِ والنية الحسنة.. فلا بدَّ من ردعها بالقوة حفاظاً على كيان مجتمع المسلمين، ولصيانته من الأخطار والإنقسامات وتنازع الأهواء والمصالح.

وقد اصطلح على تسمية هذه الفئة، بالفئة الباغية، حيث عانى الإسلامُ في تاريخه المديد، منها، مما أدى إلى خسارات جمة، لم تجبر حتى الآن. وليس مبالغةً القولُ إنَّ قتالَ الفئةِ الباغية لا يقلُّ أهميةً عن قتال الفئة المشركة أو الكافرة... لأن النيلَ من الإسلامِ هدفُها، وإن اختلفت الوسائلُ والشعارات.

رُوي عن النبي المصطفى ﷺ قوله: «يا علي، إنَّ الله تعالى، قد كتب على المؤمنين الجهادَ في الفتنة من بعدي، كما كتب عليهم الجهاد مع المشركين معي، فقلتُ: يا رسول الله، وما الفتنةُ التي كُتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله، وهم مخالفونَ لسنتي، وطاعنون في ديني، فقلتُ: فعلام نقاتلهم يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟ فقال:

على إحداثهم في دينهم، وفراقهم لأمري، واستحلالهم دماء عترتي»[1].

ولا تنفع، في هذه الحالات، أن تُرفع بعضُ الشعارات المنادية بعدم حرب البغاة، لأنهم إخوةٌ في الدين، فالفئة التي تُريد هدمَ أركانِ الدين، وخدمةَ الكفارِ، تسقط أخُوتُها، وتُستباحُ دِماؤها. فقد روي عن الباقر عليه السلام، أنَّ علياً لم يكن ينسبُ أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنَّه كان يقول: هم إخواننا بغَوا علينا.

ويعلِّق الحر العاملي على ذلك بقوله: هذا محمول على التقية.

وعلى أيِّ حال، يجب قتالُهم وقتلهم، تحت أيِّ عُنوانٍ اندرجوا. يقول السيد الخوئي، قدس الله سره، في أثناء حديثه عن أهل البغي: «فإنَّه لا إشكال في وجوب مقاتلتهم إذا أمر الإمام عليه السلام بها، ولا يجوز لأحد المخالفة، ولا يجوز الفِرار، لأنه كالفِرار من الزحف في حرب المشركين، والحاصل، أنَّه تجب مقاتلتهم حتى يفيئوا أو يُقتلوا» ويختم السيد الخوئي، قدس سره، بقوله: «وتجري على من قُتل فيها

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٦١ ح ٧.

أحكامُ الشهيد، لأنه قتلٌ في سبيل الله»[1].

وفي بعض الأحيان، كما لو كان المسلمون وأهلُ الحقِّ ضعافاً، يسقط جهادُ البغاةِ عنهم، تماماً كما يسقط عندها جهادُ المشركين أيضاً، وهذا أمر طبيعي، لأن المرجُوَّ من الحرب تحقيقُ النصرِ، وعزةُ الإسلام، لا القضاءُ على البقية الباقية من المسلمين. فقد رَوى الهيثم بن عبد الله الرماني قال: سألتُ عليَّ بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلتُ له: يا ابن رسول الله أخبرني عن علي بن أبي طالب لِمَ لَمْ يُجاهدْ أعداءَه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم جاهد في أيام ولايته؟ فقال: «لأنه اقتدى برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ترك جهاد المشركين بمكة، بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة تسعة عشر شهراً، وذلك لقلة أعوانه عليهم، وكذلك علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ترك مجاهدةَ أعدائِهِ لقلة أعوانه عليهم. . .»[2].

وفي الختام نرى أنَّ جهاد البغاةِ واجب كجهاد المشركين، لا فرق، لأنَّ ترك ذلك نيلٌ من وجود الإسلام، ومستقبله.

---

(١) منهاج الصالحين: ص ٣٨٩.
(٢) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٣٦ ح ١.

باب
قتلُ أعداءِ الإسلام، وعدمُ جوازِ الاستسلامِ أو الهرب

الحمد لله رب العالمين، ناصرِ من استنصره، ومُغيثِ مَنْ استغاثه.

من جملة ضروب الجهاد المشروع في الإسلام، مقاتلةُ أهلِ الفساد في المجتمع، والانتهاءُ منهم.

فكل مجتمع، ومن ضمنه المجتمع الإسلامي، فيه من المنحرفين والفاسدين ما يكفي لإهلاك الحرث والنسل... وقد يكون الفسادُ سياسياً كما قد يكون خُلُقياً أو سلوكياً.

فنحن نعلم يقيناً بوجود بعض الأفراد من المسلمين، وبينهم، ممن يعملون كأجهزةِ مخابرات، وعيونٍ للأعداء، حيث يسترقون السمعَ، وَيَجمعون كيدهم وأصواتهم، ويُجْلبون بخيلهم ومكرهم... ويعملون زبانية للطاغوت والشيطان في بلاد المسلمين.

هؤلاء، لئن لم ينتهوا، ﴿**لنسفعاً بالناصية، ناصيةٍ كاذبةٍ**

خاطئة﴾[1]، خائنةٍ ماكرةٍ فاجرةٍ، مصيرُهم إلى الجحيم. هذا هو حكم الإسلام بهم.

ومن آداب السلوك في الإسلام، تخليصُ المجتمعِ من المنحرفين والجواسيسِ والفاسدين، سواء أكانوا من المسلمين أم من الأجانب، ولو كان هذا التخليص بالقتل. قال الله تعالى: **﴿لئن لم ينتهِ المنافقون، والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجِفون في المدينة، لنُغْرينَّكَ بهم، ثم لا يُجاوِرونَكَ فيها إلا قليلا، ملعونين أينما ثُقِفُوا، أُخذوا وقُتِّلوا تقتيلاً﴾**[2].

ويُحدثُنا الريانُ بنُ الصلت عن رجل عباسي، أي من أنصار العباسيين أعداءِ أهل البيت عليهم السلام، كان يترددُ عليه، ويذكرُ الإمام الرضا عليه السلام كثيراً من باب الرياء والوقيعة، . . . فيسأل الريانُ الإمام عليه السلام وكان هذا الرجل ينام عند الريان، ويقيلُ، أي ينامُ القيلولة أيضاً في نصف النهار، . . . فيسأل الريان الرضا عليه السلام هل يجوز أن آخذَ بحلقِهِ وأعصِرَه حتى يموت، ثم أقول: مات فجأةً، فقال عليه السلام ونفض يديه ثلاث مرات، لا يا ريان، لا يا ريان، فقال: إنَّ الفضلَ بن سهل، هو ذا يُوجهني إلى العراق

---

(١) سورة العلق: الآيتان ١٥ ـ ١٦.

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان ٦٠ ـ ٦١.

في أمواله، والعباسي خارجٌ بعدي بأيامٍ إلى العراق، فترى أن أقول لمواليك القُميين، أن يخرج منهم عشرون أو ثلاثون رجلاً، كأنَّهم قاطعوا طريق أو صعاليك، فإذا اجتاز بهم قتلوه، فيُقال: قتله: الصعاليك، فسكت الإمام عليه السلام ولم يقل: نعم، أو، لا.

وعلَّق صاحبُ وسائل الشيعة قائلاً: سببُ السكوت، التقية، فيدل على الإباحة، لأنه لا تقية في النهي لو أراده[1].

ومن آداب السلوك في الإسلام، عدم جوازِ الاستسلام للأعداء بغير سببٍ يُجبر على ذلك، كالجرح الكبير مثلاً، أو الإصابة البليغة.

وهذا يجعل الفرد المسلمَ يُقاتلُ بمعنوية عالية، وإقدام كبير، ولا يُفكرُ أبداً بترك السلاح أو تسليم الموقع، إلا إذاً خرج ذلك عن إرادته. ومردود ذلكَ من الناحية المعنوية عظيم جداً.

ورُوي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث علياً مع سرية جهادية، قال له: «مَنْ استأسر من غير جراحة مُثْقلةٍ، فليس منا»[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٦٢ ح ١٢ بتصرف.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٤ ح ١.

ومن آداب السلوك في الإسلام، تحريمُ الفرارِ من الزحف، إلا في بعض المستثنيات، . . . فالواجبُ طاعةُ القيادة، فإما النصر وإما الشهادة.

وأما التقهقر فآثاره على التاريخ والأجيال، عارٌ لازم، وذُلٌ قائم، يتردد في آن.

ومن كلامٍ لأمير المؤمنين عليه السلام: «وليعلمْ المنهزم بأنه مسخطٌ ربَّه، ومُوبقٌ نفسه، وأنَّ في الفِرارِ مَوْجِدَةَ (*) الله، والذلَّ اللازم، والعار الباقي، وأنَّ الفارَّ لغيرُ مزيدٍ في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه، ولا يُرضي ربَّه، ولموتُ الرجلِ محقاً قبل إتيانِ هذه الخصال، خير من الرضا بالتلبس بها، والإقرارِ عليها»[١].

وعن مولانا الرضا عليه السلام أنه كتب لمحمد بن سنان فيما كتب إليه من جواب مسائله: «حرَّم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفافِ بالرسل والأئمة العادلة، وتركِ نصرتهم على الأعداء، والعقوبةِ لهم على ترك ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وتركِ

---

* غضب الله.

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٦٥. ح ١.

الجَوْر، وإماتةِ الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطالِ دين الله عز وجل، وغيرِه من الفساد»[1].

وختاماً، يكون قد مرَّ معنا: وجوبُ أو جوازُ قتلِ المفسدين والجواسيسِ والأعداءِ، وعدمُ جوازِ الاستسلامِ للعدو، إلا لسبب قاهر، وحرمةُ الفرارِ من الزحف (*) . . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بـــاب
الرفقُ بالأسير، وجملةٌ من آداب الجهاد

في الإسلام آدابٌ تشملُ كلَّ مِرفق وحقلٍ من مرافق وحقول الحياة والمجتمع. وفي آثناء الحرب، ومن الطبيعي أن يقع في أيدي المسلمين بعضُ الأعداء أسارى، وهم الذين يستسلمون أو يصابون في ساحة المعركة، وهؤلاء يستحب

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٦٥. ح ٢.

* اللهم صلِّ على محمد وآله، وأنسهم عند لقائهم العدوَّ ذكرَ دنياهم الخدَّاعة الغرور، وامحُ عن قلوبهم خطراتِ المالِ الفتون، واجعل الجنةَ نُصْبَ أعيُنِهم. . . (من دعاء أهل الثغورِ).

الرفق بهم، من ناحية الطعام والشراب والمعاملة، حتى ولو كانوا كفاراً وكان حكمهم أن يُقتلوا.

وربما لا تكونُ منفعةُ هذه المعاملة راجعةً على سمعة الإسلام بعد إطلاقهم، بل قد تكونُ لتبقى الرأفةُ والرحمةُ في قلوب المجاهدين والمقاتلين المسلمين، فلا يخرجوا عن إطارهم الإنساني، وحسِّهم المرهف تجاه الآخرين، فيُنكِّلوا ويظلموا، كما تفعل الجيوش الباغية والمستكبرة إذا انتصرت على بلد، أو استُبيحت لها.

ورُوي في هذا المجال عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «إطعامُ الأسير حقٌّ على مَنْ أسره، وإن كان يُراد من الغد قتلُه، فإنه ينبغي أن يُطعَمَ ويُسقى ويُرفَقَ به، كافراً كان أو غيرَه»[١].

وفي تفسيره عَلَيْهِ السَّلَامُ للآية الكريمة: ﴿**ويُطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾[٢] قال: «هو الأسير»، وقال: «الأسير يُطعَمُ وإن كان يُقدَّمُ للقتل». وقال: «إن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُطعم مَنْ خُلِّد في السجن من بيت مال

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٦٨ ح ١.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

المسلمين»[1].

ورُوي عن علي عليه السلام أنه قال: «إطعام الأسيرِ والإحسانُ إليه حق واجب، وإن قتلته من الغد»[2].

ويُستحب في ساحات الجهاد المقدس، التحلي بجملة أخلاقٍ إسلاميةٍ حميدة، حيث إنَّ المسلم، لا يتخلى عن سلوكه ونهجه وإن كان ذلك في أحلك الظروف، وأصعبها. ومن جملة هذه الأخلاق: المحافظة على الصلاة، وتأديتُها في أول وقتها، والإكثارُ منها وراءَ المتاريس وفي الخنادق... وعدمُ الخوفِ من الأعداءِ، والرهبةِ منهم لأنَّ ذلك قد يؤدي إلى الضلالة أو ضعفِ الإيمان... وتوطينُ النفسِ وتعويدها على القتال وتحمُّلِ المصاعب، والمنازلة والمبارزةِ.

ومن جملة الآداب: تقوى الله، وعدمُ الميل بالراية أو إزالتها... وأن لا تُجعلَ إلا مع الشجعان الذين يحافظون عليها، ويذودون عنها...

ومن الأدب: عدمُ المُثْلَةِ بالقتلى، أو هتكُ أستارهم، وعدمُ أخذ شيءٍ من أموالهم إلا ما وُجد في ساحة المعركة،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٦٩ ح ٢.
(٢) المصدر نفسه: ح ٣.

وأن لا نشتمَ امرأةً وإن شتمتنا وأمراءَنا وصلحاءَنا، وحمايةُ الأخِ ومؤازرته في ساحة المعركة، حتى لا يُحاصرَ أو يُستفَرَد. . . والاستعانةُ بالصبر في كافة المواطن. . . وذكرُ الله. . ورفعُ معنويات الأخِ المصاب أو المفجوع، أو الذي نال العدوُّ منه. . . وتحريضُ المؤمنين على القتال والجهاد والثبات، خاصة ممن لهم الكلمةُ النافذة أو المسموعة.

وهـذه المستحبـاتُ والآداب وردت فـي سلسلـة مـن الروايات، نقتطف منها جملةً منوعة مما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: «تعاهدوا الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. . . إنَّ الجهادَ أشرفُ الأعمال بعد الإسلام، وهو قوامُ الدين، والأجرُ فيه عظيم، مع العزة والمنعة، ثم إنَّ الرعبَ والخوفَ من جهاد المستحق للجهاد، والمتوازرين على الضلال، ضلالٌ في الدين، وسلبٌ للدنيا مع الذل والصغار، وفيه استيجابُ النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال، يقول الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار**﴾[1].

حافظوا على أمر الله عز وجل، في هذه المواطن،

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٥.

فالصبر عليها كرم وسعادة، ونجاةٌ في الدنيا والآخرة. . . وٱصبروا وصابروا واسألوا النصرَ، ووطّنوا أنفسكم على القتال، واتَّقوا الله عز وجل، فإنَّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون. . . ولا تميلوا براياتكم، ولا تُزيلوها، ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم. . .

ولا تُمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال قوم، فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم، إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيِّجوا امرأةً بأذى، وإن شتَمْنَ أعراضكم، وسبَبْنَ أمراءكم وصلحاءكم، فإنَّهنَّ ناقصاتُ القوى والأنفسِ والعقول، وقد كنّا نؤمر بالكف عنهنَّ وهنَّ مشركات، وإن كان الرجل ليتناولُ المرأةَ، فيُعيَّرُ بها وعقبُه من بعده، . . .

رحم الله امرءاً، واسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنَه إلى أخيه، فيجتمعُ عليه قرنُه وقرنُ أخيه، فيكتسب بذلك اللائمة، ويأتي بدناءة، وكيف لا يكون كذلك، وهو يُقاتلُ الاثنين، وهذا ممسكٌ يدَه قد خلَّى قرنَه على أخيه هارباً منه، ينظر إليه، . . . قال الله تعالى: **﴿قل لن ينفعَكُمْ الفرارُ إن فررتم من الموت أو القتل، وإذاً لا تُمتعون إلا قليلاً﴾**[1]. وأيم الله، لئن

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٦.

فررتم من سيوف العاجلة، لا تسلمون من سيوف الآجلة، فاستعينوا بالصبر والصدق، فإنما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا، في الله حقَّ جهاده، ولا قوة إلا بالله. . .».

وورد في نص آخر. . . «وإذا رأيتم من إخوانكم المجروحَ ومَنْ قد نُكِّلَ به أو مَنْ قد طَمِعَ فيه عدوُّكم، فقوّوه بأنفسكم»[1].

فهذه جملة من آداب ومستحبات الجهاد والقتال، والنصوص الموجودةُ بين أيدينا مفصَّلةٌ ومُطوَّلةٌ، وكلُّها تجري في هذا السياق.

باب
التعرُّبُ بعد الهجرة، وقتلُ الدعاةِ إلى البدعة

المسلم المتدين الملتزم يرتاح ويأنس في العيش بين المسلمين، فيحافظُ على أحكامه الشرعية، ومعنوياته العالية. ومن الصعوبة بمكان، أن يُبتلى المسلمُ في العيش بين غير المسلمين. . . ليعيشَ غريباً بين جيرانه، مستوحشاً في مكان مسكنه. . . ويخشى على تدينه، وعلى التزام زوجته

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٧٠ باب ٣٤ بتصرف وإيجاز.

وأولاده... لأنَّ الأجواء التي تُحيط بهم من عاداتٍ وتقاليد، بعيدةٌ كل البعد عن شرع الله تبارك وتعالى.

وهذا فعلاً ما يشعر به أكثرُ المسلمين الذين يعيشون في بلاد الكفر في عصرنا الحاضر. من هنا حرَّم الإسلامُ التعَرُّبَ بعد الهجرة... أي الانتقالَ إلى مجتمع الكفر أو الشرك، بعد التشرف بالإسلام ومجتمعِ السلام والحق.

فالدين الحنيف، ومن باب الحفاظِ على إسلام المسلم، والتزامه،... وكتدبير وقائي له ولأبنائه... حرَّم أن ينتقلَ ابنُ الإسلام للسكن والإقامة في بلاد الكفار إذا كان يخشى على دينه أو يعلمُ أنَّه سيتناول حراماً دون ضرورةٍ، كأكل لحم الخنزير مثلاً أو تركِ الصلاة. وفي وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «ولا تعرّبْ بعد الهجرة»[1].

وكتب أبو الحسن الرضا(ع) في جواب بعض المسائل: «وحرَّم الله التعرُّب بعد الهجرة، للرجوع عن الدين، وتركِ الموازرة للأنبياء والحُجج، وما في ذلك من الفساد، وإبطالِ حقِّ كلِّ ذي حق، لِعلةِ سَكنِ البدو، ولذلك لو عرف الرجل الدينَ كاملاً، لم يَجُزْ له مساكَنةُ أهلِ الجهلِ، والخوفُ عليه،

---

(1) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٧٥ ح ١.

لأنه لا يؤمنُ أن يقع منه تركُ العلم، والدخولُ مع أهل الجهل والتمادي في ذلك»[1].

وعن مولانا الصادق عليه السلام قال: «التعرُّب بعد الهجرة، التارك لهذا الأمر بعد معرفته»[2]، وعنه عليه السلام قال: «يقول أحدُكُم: إني غريب، إنما الغريب الذي يكون في دار الشرك»[3]. وجاء عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «ولا تعرُّب بعد الهجرة، ولا هجرة بعد الفتح»[4].

وبناءً على ما تقدم، أفتى الإمامُ الخميني، والسيدُ الخوئي، قدَّس الله سرهما، بحرمة التعرب بعد الهجرة، وذكروها في عداد الكبائر التي تُسقط العدالة... وذلك لأنَّ السفر إلى بلاد الكفر قد يُنقصُ من الدين أو يذهبُ به.

وهذا في حالات السفر والهجرة، حيث رأينا في الأشهر والسنوات الأخيرة، الكثيرَ من المسلمين ومن إخواننا المتدينين الذين سافروا إلى بلاد الكفر، ثم رجعوا بلا إيمان،

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ٧٥. ح ٢.
(٢) المصدر نفسه: ص ٧٦ ح ٣.
(٣) المصدر نفسه: ح ٥.
(٤) المصدر نفسه: ص ٧٧ ح ٧.

أو بإيمان ضعيف... والقليل منهم مَنْ فرَّ بدينه، ونجا بنفسه.

أما في وطن الإقامة، أو الوطنِ الأصلي... ففي بعض الأحيان، ينتشر أهلُ البدع والانحراف، الذين يزيدون في دين الله أو يُنقصون منه، أو يخترعون ما لم يُذكر في الشريعة المقدسة، أو يُشرِّعون من عندهم... وهؤلاء يجب ردعهم وقمعهم بأي وسيلة مُتاحة أو مُمكنة ولو جرَّ ذلك إلى قتلهم.

روى المحدِّث العلامة، فخرُ المسلمين، الحرُّ العاملي في وسائله عن أبي الحسن عليه السلام ما يُفهم منه، قتل الدعاة إلى البدعة، حيث ذكر محمد بن عيسى بن عبيد أنَّ أبا الحسن عليه السلام، أهدر دم فارسِ بن حاتم، وضمِنَ لمَنْ يقتلُه الجنةَ، فقتلَه جُنيد، وكان فارسُ فتاناً، يفتن الناس، ويدعوهم إلى البدعة، فخرج من أبي الحسن عليه السلام: هذا فارس لَعَنَه الله، يعمل من قبَلي فتَّاناً داعياً إلى البدعة، ودمه هدر لكل مَنْ قتله، فمن هذَا الذي يُريحني منه، ويقتله، وأنا ضامن له على الله الجنة»[1].

مما تقدم يظهر خطرُ بعضِ الأشخاص الذين يتستَّرون

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٩٤ ح ١ بتصرف.

بالمؤسسات أو الشعارات الدينية أو الإنسانية أو العلمية أو الطبية. . . وهم في واقع الأمر يُشرِّعون في دين الله، ما لم يُنزِّلْ به سلطاناً. . . وكأنَّ الله تعالى، أنزل ديناً ناقصاً فأكملوه، أو خطأً فصححوه، أو مُطْنباً فشذَّبوه. . . فتعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

ونخلص مما تقدَّم إلى: حرمةِ التعربِ بعد الهجرة، إذا كان يَخْشى على نقصٍ في دينه. ووجوب قتلِ الدعاةِ إلى البدعة والانحراف والفساد.

بـــاب
جواز مخادعة أهل الحرب

من الطبيعي أن تُستعملَ في ساحات الحرب الأساليبُ التي تُمَكِّنُ من الانتصار والظفر. ولكنَّ المسلمَ يقف حائراً سائلاً عن جواز استعمال بعض الطرق والممارسات، ومدى انسجامها مع مبادىء الإسلام وأخلاقه. . . كالخديعة مثلاً في ساحة المعركة. والمعروفُ منذ آلاف السنين، أن الخديعة والتمويه وإظهارَ خلافِ الواقع، من الأمور الهامة المستعملة في الحرب.

صحيحٌ أنَّ الإسلامَ يُحرمُ الخديعةَ والكذب والفتنة في

الظروف الاجتماعية العادية، أو بين الأفراد كحكم أولي. . . ولكنْ في حالات الاستثناء والضرورة، وخاصةً عندما يتوقف نصرُ الإسلام على ذلك، يجوز استعمالُ بعضِ هذه الوسائل، حيث رُوي عن رسول الله ﷺ يومَ الخندق قولُه: «الحرب خدعة» وقولُه: «تكلَّموا بما أردتم»[1].

ويجوز شنُّ حربٍ دعائيةٍ إعلاميةٍ لتثبيط همم الأعداء، وتفريقِ شملهم، وتشتيتِ معنوياتهم، بواسطة الصحفِ والمنشورات والملصقات، والإذاعة والتلفاز.

كما شاهدنا ذلك في بعض فصولِ جهادِ شبابِ المقاومة الإسلامية البواسل، في جنوب لبنان وبقاعه، ولشدة ما كانوا يُظهرون من قوتهم ورباطة جأشهم، كان ذلك يُخيفُ الأعداءَ ويصيبهم بالقلق والذعر قبل المعركة ويؤدي بهم إلى الفرار عند بَدْء القتال.

وقد رُوي أنَّ علياً عليه السلام قال بصوتٍ مسموع يوم التقى معاوية بصفين، يُريدُ أن يُسمعَ أصحابَه: والله لأَقْتُلَنَّ معاويةَ وأصحابَه، ثم قال في آخر كلامه إن شاء الله، وخفض بها صوتَه

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٠٢ ح ١.

قال الراوي وهو عدي بن حاتم: وكنتُ منه قريباً، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، انَّك حلفتَ على ما قلت، ثم استثنيت، فما أردتَ بذلك؟ فقال: إنَّ الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غيرُ كذوب، فأردتُ أن أحرِّضَ أصحابي عليهم لكيلا يفشلوا، ولكي يطمعوا فيهم، فافهم فإنَّك تنتفع بها بعد اليوم إن شاء الله، واعلم أنَّ الله عز وجل، قال لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون: ﴿**فأتياه فقولا له قولاً ليّناً لعلَّه يتذكَّر أو يخشى**﴾[1]، وقد علم أنَّه لا يتذكر ولا يخشى، ولكن ليكونَ ذلك أشدّ تحريضاً لموسى على الذهاب[2].

وروى عليٌ عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه أنَّ يهود بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: إذا التقيتم أنتم ومحمد، أمددناكم وأعنَّاكم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فقال: إنَّ بني قريظة بعثوا إلينا إنَّا إذا التقينا نحن وأبا سفيان، أمدُّونا وأعانونا، فبلغ ذلك أبا سفيان، فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم[3].

---

(١) سورة طه: الآية ٤٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٠٢ ح ٢.

(٣) المصدر نفسه: ح ٤.

وبهذا يتبيَّن جوازُ استعمالِ الخديعة أو ما شابه ذلك في ساحة المعركة، وهو ما يُعرفُ اليوم بالحرب الإعلامية التي لها حقولٌ شتى، وميادينُ متنوعة، وتلعب دوراً هاماً في فصول المعركة ونتائجها.

بـــاب
استحباب الشعارِ والرايات، وتعلم الرمي

عندما جاء الصليبيون لغزو بلاد المسلمين ونهبها والقضاءِ على الحضارة والتمدنِ فيها، كانوا يحملون على صدورهم شعار الصليب، فسُمُّوا بذلك كما قيل.

وهكذا كل دولة في العالم، وكل جيش فيه، له شعارٌ أو رايةٌ أو علم [illegible] به.

ومسألةُ الشعارِ مسألةٌ قديمة في التاريخ حيث كانت ملازمة لكل كيان أو نظامٍ أو ملِكٍ أو جيشٍ. . .

ومن آداب السلوك في الإسلام، أن يحمل المسلمون في ساحة المعركة رايةً أو شعاراً يرمز إليهم، ويدُلُّ عليهم، وأن يُحافظوا على خفقانه وانتصابه كدليل على الثبات أو التقدم أو النصر.

ولا بدَّ لهذه الشعارات التي يحملها المسلمون أن تُعبِّر عن عقيدتهم أو مقدساتهم أو رموزهم... كالإشارة إلى التوحيد مثلاً أو القرآن أو نبي الإسلام ﷺ أو الأئمة الأطهار... أو إسمٍ أو نداءٍ لله تبارك وتعالى، وما شاكل ذلك... من الآيات والأقوال التي ترفع المعنويات. فقد ذُكر في مصادرنا عن علمائنا الأجلاء، استحبابُ اتخاذِ الرايات، فعن جعفر بن محمد عليه السلام، أنَّه قال: أول مَنْ قاتل، إبراهيمُ عليه السلام حين أسرت الرومُ لوطاً، فنفر إبراهيمُ عليه السلام حتى استنقذه من أيديهم (إلى أن قال)، وأول مَنْ اتخذ الراياتِ إبراهيمُ عليه السلام، عليها: لا إله إلا الله[1].

وبعث رسولُ الله ﷺ علياً عليه السلام يوم بني قريظة بالراية، وكانت سوداء، تُدعى العُقاب، وكان لواؤه أبيض[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: «شعارنا: يا محمد يا محمد، وشعارنا يوم بدر: يا نصر الله اقترب اقترب، وشعار المسلمين يومَ أُحد: يا نصر الله اقترب، ويوم بني النضير: يا روح القدس أرح، ويوم بني قينقاع: يا ربَّنا لا يغلبنَّك، ويوم الطائف: يا رضوان، وشعارُ يومِ حنين: يا بني عبد الله، يا

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١١٠ ح ١.

(٢) المصدر نفسه: ح ٢.

بني عبد الله، ويوم الأحزاب: حم لا يُبصرون، ويومِ بني قريظة: يا سلام أسَلمهم، ويوم بني المصطلق: ألا إلَى الله الأمر، ويوم الحديبية: ألا لعنة الله على الظالمين، ويوم الفتح: نحن عباد الله حقاً حقاً، ويوم تبوك: يا أحد يا صمد، ويوم بني الملوِّح: أمت أمت، ويوم صفين: يا نصر الله، وشعارُ الحسين عليه السلام: يا محمد، وشعارنا: يا محمد...».

ورُوي أيضاً أن شعار المسلمين يوم بدر: يا منصور أمت، وشعارُ يومِ أُحد للمهاجرين: يا بني عبد الله، يا بني عبد الرحمٰن، وشعَار الأوس: يا بني عبد الله.

ومن آداب السلوكِ في الإسلام تعلُم الرمي بالسهام، حتى يكون كلُّ مسلم متأهباً ومستعداً للنزول إلى ساحة المعركة إذا دعت الحاجةُ لذلك.

ونستطيع القولَ، بناءً على هذا، ضرورةَ أن يتعلَّمَ كلُّ قادرٍ على حمل السلاح من المسلمين طرِق استعماله، فيتدرب ويرمي، بين وقت وآخر، حتى يُحافظَ على لياقته وكفاءته القتالية، كما تفعلُ الجيوشُ الحديثة مع جنودها... وعلى الأقل على كل مسلم أن يُتقن الرمي من المسدسات والرشاشات الخفيفة المتداولة في هذا الزمن، إن لم يستطع

استخدام أكثرَ من ذلك من الأسلحة المتوسطة وغيرها. فعن الصادق عليه السلام قال: «الرمي سهم من سهام الإسلام»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله عز وجل: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل**﴾ قال: الرّمي[2].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اركبوا وارموا، وأن ترموا أحبّ إليَّ من أن تركبوا، ثم قال: كلُّ لهوِ المؤمن باطلٌ، إلا في ثلاث: في تأديبه الفرس، ورميه عن قوسه، وملاعبةِ امرأتِه، فإنّهن حق، ألا إنَّ الله عز وجل ليُدخلُ بالسَهم الواحد الثلاثةَ الجنة: عاملَ الخشبةِ، والمقوي به في سبيل الله، والرامي به في سبيل الله[3].

ومن أدب المجاهدين في الإسلام، أن لا يتشبَّهوا بأعداء الإسلام مطلقاً، في تصرفاتهم وألبستهم... وقد لاحظنا في السنوات الأخيرة، وللأسف الشديد، في لبنان، مَنْ يُحبُّ تقليدَ الكفار في طريقة حملِ السلاح أو لبسِهِ... تأثراً بالأفلام الأجنبية التي تعرض وتُصور فلاناً الكافر وكأنه أسطورة في قتاله ومشيه وقفزه وسلاحِهِ، حتى تراه يقتل مئاتِ

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٠٧ ح ١.

(٢) المصدر نفسه: ح ٢، والآية من سورة الأنفال/ ٦٠.

(٣) المصدر نفسه: ح ٣.

الناس، ويُطلقُ آلافَ الطلقات، من مخزن واحد، لا يتبدل ولا يتغير.

إذ يقوم بَعضُ شبابنا، للأسف، بتقليد هؤلاء، وحملِ مسدساتهم بطريقة تُثير الاشمئزازَ والسخرية، وفيها نفحةُ تكبرٍ وتعالٍ... حتى ترى صعلوكاً يتعجرف على الناس بسلاحه الذي قد يُطيحُ به يمنةً ويسرةً، لجهله بطريقة حمله.

كل هذا تأثراً بأفلام الغربيين، وخاصة الأمريكيين منهم، وتأثراً بالمنظمات والأحزاب غير الإسلامية والمنحرفة التي سيطرت على الساحة منذ سنوات طويلة، واتخذت من قادة الشيوعيين والماركسيين والماويين والكوبيين وأبطالِ الأساطير والخرافات الأمريكية شعاراً لها.

ولقد روى الباقر عليه السلام عن آبائه، قال: «أوحى الله إلى نبي من الأنبياء، أن قلْ لقومك لا تلبَسوا لباسَ أعدائي، ولا تطعَموا مطاعمَ أعدائي، ولا تَشاكلوا بما شاكل أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»[1].

وقد تقدم نظيرُ ذلك مفصلاً في آداب اللباس، وبذلك يتبين لنا استحبابُ اتخاذِ الرايات في ساحة المعركة وغيرها،

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ١١١. ح ١.

واستحبابُ التعلم على الرمي، وعدمُ جواز تقليد الكفار في تصرفاتهم المنبوذة وألبستهم.

بــــاب
شجاعةُ المجاهدين، ومدحهم

لا بد للمسلمين، في أي مكان حلُّوا، أن تكون لهم قوةٌ وجندٌ، يحفظون كيانَهم ووجودَهم وكرامتهم. قال الله تعالى: ﴿ولقد سبقتْ كلمتُنا لعبادنا المرسلين، إنَّهم لهم المنصورون، وإنَّ جندنا لهم الغالبون﴾[1].

وجند الإسلام هؤلاء، ينبغي أن تتوافر فيهم جملةُ مزايا وشروط، يختلفون بها عن غيرهم من القوى العسكرية التي تنتشر، في دول وأماكنِ القرار في العالم.

من هذه الشروط مثلاً: التحلي بالآداب والأخلاق الإسلامية، حتى في أحلك الظروف العسكرية، ككظم الغيظ، والتزين بالحلم والعفو والهيبة، والرأفة بالمستضعفين والضعفاء، وعدم الخروج عن الموازين الشرعية. ولا يكون ذلك طبعاً إلا بعظيم مجاهدة النفس، وتأديبها.

---

(١) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

قال الأمير عليه السلام في النهج: «فالجنودُ، بإذن الله، حُصونُ الرعيةِ وزَيْنُ الوُلاةِ، وعزّ الدين، وسُبُلُ الأمنِ، وليس تقوم الرعيةُ إلا بهم... فولِّ جنودك، أنصَحَهُمْ في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهَرَهُم جيباً، وأفضَلَهُم حلماً، ممّن يُبْطىءُ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يُثيره العنف، ولا يَقعدُ به الضَّعْف...»، وفي نصٍ آخر: «... أفضلهم حلماً، وأجمعهم علماً وسياسة...»(١).

ومن الحُسن، مدحُ الشجاعِ من المقاتلين، حتى يثبت، ويقتدي به الآخرون.. فقد رُوِيَ عن الأمير عليه السلام قوله: «... فافسحْ في آمالهم، وواصِلْ من حسن الثناء عليهم، وتعديدِ ما أبلى ذوو البلاءِ منهم، فإنَّ كثرة الذكرِ لحسن أفعالهم، تهزُّ الشجاع، وتُحرِّض الناكلَ إن شاء الله... ومَنْ لم يعرفْ قيمةَ جندِه، يخسرْهُمْ ويسلُبُ معنوياتهم، قال علي عليه السلام: «مَنْ خذل جندَه، نصر أضداده»(٢).

ومن الحسنِ أيضاً تذكيرُهم أنهم جندُ الله في الأرض،

---

(١) نهج البلاغة: نقلاً عن بحار الأنوار: نقلاً عن تحف العقول: ج ٧٧ ح ٢٤٧.
(٢) ميزان الحكمة: ح ٢٥١٥.

كما جنودُ الله في السماء، ليَرعوا حقَّ هذا الانتماء، تمام رعايته. قال الله تعالى: ﴿**ولله جنودُ السمٰوات والأرض،** ﴾. وقال أيضاً: ﴿**ولله جنود السمٰوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾[1].

ومن الضروري طاعةُ القيادة فيما أمرت، وإن كان ذلك على خلاف ما يراه الجند... لأنَّ إطلاعَ القيادة، وعلمَها وخبْرتها أوسعُ وأشمل. ولقد قال علي عليه السلام: «آفة الجند، مخالفة القادة»[2].

ومن الشروط الهامة والأساسية، التي يجب أن تتوافر في المجاهدين، الشجاعةُ والإقدامُ، لأنَّ الجبنَ ليس من شيم المؤمنين والمتوكلين وأهلِ اليقين. فمن آداب السلوك في الإسلام، أن يُعوِّد المؤمن نفسه على الشجاعة والبذل، دون خوف أو وجل...

ففي كثير من الأحيان يكون الجبنُ علامةَ ضعفِ الإيمانِ... وهذا أمرٌ يجب أن يُعلَمَ حتى يُعالج... والعلاج له أكثرُ من سبيل، فقد قال علي عليه السلام: «شدة الجبن، من

---

(١) سورة الفتح: الآية ٤.

(٢) ميزان الحكمة: ح ٢٥١٦.

عجزِ النفس، وضعفِ اليقين». وقال أيضاً: «الجبن والحرصُ والبخلُ، غرائز سوءٍ، يَجمعُها، سوء الظن بالله»[1].

فينبغي للمؤمن، ولكي يُوطِّنَ نفسَه على الجهاد، أن يتخلص من الخوف والجبن الخارجين عن الحد الطبيعي العابر، الذي يشعرُ به كلُّ إنسانٍ، دون أن يُعيقَ تحرُّكَه. فالشجاعةُ صفةٌ من صفات الكمال الإنساني، حيث لا يُدركُ هذا الكمال، إلا بهذه الفضيلة والمكرُمة. وقد رُوي عن لقمان على نبينا وآله وعليه السلام أنه قال: «لا يُعرفُ الشجاعُ إلا في الحرب»[2].

وليكنْ معلوماً، أن الشجاعة وإن كانت شديدةً ومُكْلِفةً، إلا أنها عزٌّ يدوم... ولعلَّ الصبرَ القليل، في مواطن الخوف يُكسِبُ عزاً لا يفنى، مع تواتر الأجيال والسنين. قال علي عليه السلام: «الشجاعةُ صبرُ ساعة»[3].

ومن الأخطاء الشائعة بين بعض المجاهدين، استضعاف الخصم، أو بتعبير أدق، الاستخفاف بالخصم، وتجاهُلُه،

---

(١) ميزان الحكمة: ح ٢٢٧٥ و٢٢٧٣.
(٢) المصدر نفسه: ح ٩١٧٥.
(٣) المصدر نفسه: ح ٩١٥٧.

وهذا يؤدي إلى ضعف الهمة والتثاقل، حيث رُوي عن قدوة المجاهدين وخبيرهم علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «آفة القوي، استضعاف الخصم»[1].

ومن الأمور الغريبة المنتشرة في مجتمعنا، استقواءُ بعضِنا على البعض الآخر، والتساهلُ والتسامحُ مع الأعداء... فترى مؤمناً يُخاصمُ ويُقاتلُ رمزاً أو مؤسسةً إسلامية، بينما يقف خاضعاً متخضعاً أمام المؤسسات التابعة للأعداء، وشخصياتها.

ولعمري إنَّ هذا لَعَيْنُ الجبن وليس من الشجاعة في شيء، فقد سُئل الحسن بن علي عليه السلام: ما الجبنُ؟ قال: «الجرأة على الصديق، والنُّكولُ عن العدو»[2].

وخلاصةُ ما تقدم معنا: ضرورةُ أن يتحلى المجاهدون بالشجاعة وأن يُكافأوا على ذلك، ويُمدحوا، وأن ينبُذوا الجبنَ وأهلَه، ويُعالجوه، وأن يتزيَّنوا بالخلق الإسلامي.

---

(١) ميزان الحكمة: ح ٩١٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ح ٢٢٧٨.

باب
مجاهدة النفس

من أهم الأمور الواجبة على ابن آدم: جهاد النفس. فهو أمرٌ لا يُفارق المرءَ، بل يعرُضُ له ويحتاج إليه، في كل يوم مراتٍ عديدة. وعلى الرغم من ذلك نجد، أكثرُ الناسِ عنه غافلون، ومنه معرضون، ولِسَخَطِ ربِّهم متعرضون.

وما من مؤمنٍ ولا زاهدٍ ولا عالمٍ ولا وليٍ... إلا وهو يحتاج لجهاد نفسه، في سلوكه إلى بارئه تباركَ وتعالى، في مسيرته التكاملية. ولولا هذا الجهادُ لما استطاع الناسُ العيش متجاورين متحابِّين. وفي هذا المجال رُوي عن مولانا الصادق عليه السلام قوله: «احمل نفسَك لنفسك، فإن لم تفعل، لم يحملك غيرُك»[1].

وبذلك يكون الإنسان مؤهلاً لمجاورة ربه تبارك وتعالى، ونيلِ درجةِ السكينة الإلٰهية، والإطمئنان الأبدي، على وسادة الفطرة والرضا. فلا يتألمُ من مرضٍ ولا همٍ ولا فقرٍ ولا مصيبةٍ ولا خسارةٍ... ويرى الأمورَ بعين الله جل

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص/ ١٢٢ ح ٢.

جلالُه، ويُصبحُ مالكاً لنفسه بعد أن كان عبداً لها. وهذا المقام، وهذه الدرجة، عزيزان. . . فلا يصلُ إليها إلا من ارتضاه الرحمٰن، واختاره، وأذن له، وقال صوابا.

ومن أقوال رسول الله ﷺ في هذا المجال، قولُه: «الشديد من غلب نفسه»[1].

وعن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال لرجل: «إنك قد جُعلتَ طبيبَ نفسك، وبُيِّن لك الداء، وعرفتَ آيةَ الصحة، ودُلِلتَ على الدواء، فانظر كيف قيامُك على نفسك»[2].

وعنه عليه السلام قولُه: «مَنْ لم يكن له واعظٌ من نفسه، ولم يكن له قرينٌ مرشد، استمكن عدوُّه من عنقه»[3].

ومن آداب السلوك في الإسلام العزيز، أن يتفكر الإنسانُ دائماً في السبيل للسيطرة على نفسه، وأن يمتحنها ويُجرِّبها في مواطن المزالق والمهالك. فإذا رزق رزقاً حسناً فلا يتَّبعُ هواه، ولا يغترُّ بماله وجاهه. وإذا غضب على مَنْ دونَه، فلا يُساقُ بشيطانه. وإذا خُوِّف أو أرهب ليخرجَ عن

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ١٢٣ ح ٥.
(٢) المصدر نفسه: ص ١٢٢ ح ٣.
(٣) المصدر نفسه: ص ١٢٣ ح ٦.

دينه، فليعلم أنَّ الله تعالى مالكُ النفوسِ، وخالقُها ومميتُها ومعيدُها. . . وإليه النشور.

وقد ورد عن الصادق عليه السلام قوله: «مَنْ مَلَكَ نفسَه إذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، وإذا غضب، وإذا رضي، حرَّم الله جسده على النار»(1).

ومُلْكُ النفسِ هذا، الذي تحدث عنه مولانا الصادق سلام الله عليه، يكون بوضع كلِّ جارحةٍ وعضوٍ من جوارحِ وأعضاءِ الإنسانِ، في موضعها الطبيعي، الذي خُلقتْ من أجله، وفُطرتْ للقيام به. فقد حدَّثنا الحسنُ بن هارون عن مولانا الصادق عليه السلام قوله له: «إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً، يسألُ السمعُ عما سمع، والبصرُ عمَّا نظر إليه، والفؤاد عما عقد عليه»(2).

ولا يكفي يا أخي، وكما هو واضح بالوجدان، وغنيٌ عن البيان. . . لا يكفي مجرد الإيمان باللسان. . . وإلا كان كلُّ الناسِ مؤمنين بلا تعبٍ ولا مشقة. . . بل، لا بد من قرينة العمل كعلامة على الصدق، ورمزٍ على الإخلاص والخلوص.

---

(1) وسائل الشيعة: ج 11 ص 123 ح 8.
(2) المصدر نفسه: ص 127 ح 2.

وحتى أنت يا عزيزي، هل تقبلُ ممن أخلص لك بلسانه دون جِنانه؟! فكيف برب العالمين.

وفي حديث عن الصادق عليه السلام قال: «الإيمان لا يكون إلا بعمل، والعملُ منه، ولا يثبتُ الإيمان إلا بعمل»[1].

وفي نصّ حديثٍ آخر، عَمَّا اشتُهر بين الناس، حولَ الفَرْقِ بين المسلم والمؤمن، قال الصادق عليه السلام: «مَنْ أقرَّ بدين الله، فهو مسلم، ومَنْ عمل بما أمر الله، فهو مؤمن»[2].

وختاماً يتبين لنا وجوبُ تهذيب النفس، والسيطرةِ على الجوارح في كل الظروف والحالات، وعدمِ الاكتفاء بالإيمان النظري بالقول فقط دون العمل.

والحمد لله رب العالمين

ويليه الجزء الثامن وفيه:

صفات المؤمنين، ووجوب الطاعة، وعيوبُ النَّفس، وتسكين الغضب، والدُّنيا الحرام، وأحكام الذنوب، والاستغفار، والتوبة، وأهل الضلالة، وأهل المعصية، وفعل المعروف. . .

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١. ص ١٢٧. ح ٣.
(٢) المصدر نفسه: ح ٤.

الفهرس